أسس الوسطية
فى السنة النبوية

إعداد الباحثة
د / أم هاشم حسن عبده حسان
المدرس بقسم الحديث وعلومه بالكلية

من ٢٧٢٧ إلى ٢٧٧٨

مقدمـــــة

الوسطية من خصائص هذه الأمة وهى سبب خيريتها ، ولا تزال الأمة بخير ما حافظت على هذه الخاصية التى تتميز بها خاصية الوسطية التى تمثل الاعتدال والاستقامة على صراط الله ــ عز وجل ــ فإذا خرجت عن الوسط إلى أحد جانبيه ففرطت أو أفرطت فقد هلكت ، فإن التطرف مهلكة ، التطرف لا يختص بالغلو والإفراط ، وإنما الغلو والإفراط تطرف ، والتقصير والتفريط تطرف أيضاً ، وكلاهما مهلكة للفرد والمجتمع .

فالذى يفرط فى حق الله ويقصر فى القيام به متطرف ، سواء ترك الصلاة أو منع الزكاة أو ترك صيام رمضان أو ترك الحج مع القدرة عليه فهذا إنسان متطرف إذا ضيع حق الله كان لغيره من الحقوق أشد تضييعاً ، فهو لا يبر أبويه ، ولا يصل رحمه ، ولا يكرم اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، منتهك للأعراض ، سالب للأموال ، مزهق للأرواح ، فهو شر ووبال على المجتمع .

كما أن الذى يتطرف إلى جهة الغلو والتشدد والتزمت يوجب ما ليس بواجب ، ويحرم ما ليس بمحرم ، ويكفر المسلمين ويفسق الصالحين ، فيستحل دماءهم وأموالهم ، ويخرج على حكامهم وأمرائهم ، فيثير الفوضى ويسعى فى الأرض فساداً فهذا إنسان متطرف .

وكلا الطرفين يخالفون صريح الآيات والأحاديث التى تنهى عن التفريط والإفراط كليهما وتدعو إلى التوسط والاعتدال ، والواجب على كل مسلم ومسلمة أن ينأى عن التفريط وأن يبعد نفسه عن الإفراط حتى يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) .

فالوسطية هى منهج الأخيار فى كل دين وكل ملة وكل تيار فكرى أو أيديولوجى أو فلسفى ، إلا أنها فى الإسلام أبرز وأوضح لأن الإسلام اختارها لتكون عنواناً لأمته .

---

(١) سورة البقرة من آية (١٤٣) .

فالوسطية من المنظور الإسلامى هى الإلتزام بالفضيلة وما تجمعه من معانى الخير والمحبة والرحمة والسلام والتسامح والشعور بالأخوة الإنسانية فمن استطاع أن يحقق التوازن بين المادة والروح ، وبين الدنيا والآخرة ، وبين حقوق الله وحقوق العباد ، وحقوق النفس وحقوق الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع الإنسانى فقد التزم بالوسط الذى هو الإعتدال ، وكل من استطاع أن يحارب فى نفسه الغلو والتطرف الفكرى أو الأيديولوجى أو الفلسفى أو المادى أو العلمانى أو الدينى ، فهو فى زمرة التيار الوسطى الذى تتعايش فيه جميع التيارات والمذاهب والملل والنحل ، وتتساكن فيه جميع ألوان الطيف لأنه لا يقصى أحداً ولا يحتكر الحقيقة ولا ينغلق .

وبهذا التوازن العجيب الذى قام عليه دين الإسلام ، يستطيع المسلمون أن يكونوا شهداء على الناس .

الباحثة

خطــة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وكل فصل يندرج تحته عدة مباحث وخاتمة ثم فهرس البحث ومصادره .

أما التمهيد فيشمل :

١ ــ أهمية البحث .

٢ ــ سبب اختياري للبحث .

٣ ــ خطة البحث .

الفصل الأول : في تعريف الوسطية في اللغة والاصطلاح

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : معنى الوسطية في اللغة والشرع .

المبحث الثاني : تحرير معنى الوسطية .

الفصل الثاني : في أسس الوسطية : ويشتمل على أربع مباحث .

المبحث الأول : الغلو والإفراط .

المبحث الثاني : التفريط والجفاء .

المبحث الثالث : الصراط المستقيم .

المبحث الرابع : معايير الوسطية وضوابطها .

أهمية موضوع البحث :

أن السبب فى ضعف الأمة الإسلامية هو التفريط والبعد عن الدين وكــذلك الغلــو والتطرف الذي أدى إلى انقسامها وتفرقها وإن منهج الوسطية هو السبيل لعــلاج هــذا الضعف والانقسام .

سبب اختياري للموضوع :

لقد تأملت طويلاً قضية الغلو والجفاء والإفراط والتفريط وأيقنت أن الأمــة بــأمس الحاجة إلى منهج الوسطية منقذاً لها من هذا الانحراف الذي جلب عليها الرزايا والمصائب والنكبات .

المبحث الأول

معنى الوسطية فى اللغة والشرع

أولاً : الوسطية فى اللغة :

(كلمة : وسط) تضبط على وجهين :

الأول : (وسْط) بسكون السين ، فتكون ظرفاً بمعنى (بين) قال فى لسان العرب: (وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم ، جاء على وزن نظيره فى المعنى وهو (بين) نقول : جلست وسط القوم أى بينهم . .) .

الثانى : (وسَط) بفتح السين .

وتأتى لمعان متعددة متقاربة ، فتكون :

١ ـ اسماً لما بين طرفى الشيء وهو منه فنقول : قبضت وسط الحبل ، وكسرت وسط القوس ، وجلست وسط الدار .

٢ ـ تأتى صفة بمعنى (خيار) وأفضل ، وأجود ، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه ، ومرعى وسط أى : خيار ، منه :

إن لها فوارسا وفرطا ** ونضرة الحى ومرعى وسطا

وواسطة القلادة : الجوهر الذى وسطها وهو أجودها ، ورجل وسط ووسيط : حسن .

٣ ـ وتأتى وسط : بمعنى (عدل) ووسط الشيء وأوسطه : أعدله [١] .

وفى القاموس : (الوسط : محركة من كل شيء : أعدله) [٢] ، وكذلك قال الجوهرى فى الصحاح [٣] .

٤ ـ وتأتى وسط بمعنى : الشيء بين الجيد والرديء ، قال الجوهرى : (ويقال أيضاً شيء وسط : أى بين الجيد والرديء) .

---

(١) لسان العرب ، فصل الواو ، باب (وسط) ٤٢٧/٧ ، ٤٣٠ .

(٢) القاموس المحيط ، باب الطاء ، فصل الواو : (٨٩٣) .

(٣) الصحاح : (١١٦٧/٣) .

وقال صاحب المصباح المنير : (الوسط بالتحريك ، المعتدل يقال : شيء وسط أى : بين الجيد والردىء . .) [١] .

وكيفما تصرفت هذه اللفظة ، تجدها لا تخرج فى معناها عن معانى العدل والفضل والخيرية ، والنصف والبيئية والمتوسط بين الطرفين .

الوسطية فى استعمال الشارع

كلمة وسطاً وردت فى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [٢] . وقد ورد تفسير هذه الكلمة فى السنة النبوية ، كما ذكر لها المفسرون عدة معان وتفصيل ذلك كما يلى :

١ ــ وقد ورد تفسير هذه الكلمة عن أبى سعيد الخدرى [٣] رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يُدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ " ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، فذلك قوله ــ جل ذكره ــ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ والوسط : العدل .

وروى الطبرى بإسناد عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدولاً .

وقد ساق الطبري عددًا من الروايات في هذا المعنى : ثم ذكر تفسير هذه الآية منسوبًا إلى بعض الصحابة والتابعين كأبي سعيد ومجاهد وغيرهما حيث فسروها بـ(عدولا) [٤] .

---

(١) المصباح المنير : (٢٥٢) .

(٢) سورة البقرة من آية (١٤٣) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير ، باب (وكذلك جعلناكم ..) (١٧٦/٥) رقم (٤٤٨٧) .

(٤) تفسير الطبري : (٢/ ٧) .

٢ ـــ قال الإمام الطبري :

وأما الوسط فإنه من كلام العرب : الخيار ، يقال منه : فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفعة في حسبه .

وهو وسط في قومه وواسط ، قال زهير بن أبي سلمى في الوسط :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ** إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وأما التأويل فإنه جاء أن الوسط العدل ـــ كما سبق ـــ وذلك معنى الخيار ؛لأن الخيار من الناس عدولهم [١] .

٣ ـــ وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي[٢] ـــ رحمه الله ـــ في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي : عدولا خيارا ، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر ، فجعل الله هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين ، وسطا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى ، وبين من جفا منهم كاليهود ، بأن آمنوا هم كلهم على الوجه اللائق بذلك .

و(وسطا) في الشريعة ، لا تشديدات اليهود وآصارهم ، ولا تهاون النصارى ، وفي باب الطهارة والمطاعم ، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ، ولا يطهرهم الماء من النجاسات ، وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم .

ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا ولا يحرمون شيئًا ؛ بل أباحوا ما دب ودرج ، بل طهارتهم ـــ أي هذه الأمة ـــ أكمل طهارة وأتمها ، وأباح لهم الطيبات من المطاعم ، والمشارب ، والملابس ، والمناكح ، وحرم عليهم الخبائث من ذلك .

فلهذه الأمة من الدين أكمله ، ومن الأخلاق أجلها ، ومن الأعمال أفضلها ووهبهم من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم ، فلذلك كانوا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا﴾

---

(١) تفسير الطبري : (٦/٢) .

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي الحنبلي ولد ـــ رحمه الله ـــ بعنيزة بالقصيم السعودية سنة ١٣٠٧هـ وكان عالمًا محررًا نبغ في علوم عديدة منها العقيدة ، والفقه ، توفي ـــ رحمه الله ـــ سنة ١٣٦٧هـ ، انظر ترجمته في مشاهير علماء نجد : (٣٩٢) .

كاملين معتدلين ليكونوا ﴿ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر الأديان ، ولا يحكم عليهم غيرهم[١] .

٤ ــ ويقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ في تفسيره لهذه الآية : (وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط ، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو الوسط بمعناه المادي والحسي ، أمة وسط في التصور والاعتقاد ، أمة وسطا في التفكير والشعور ، أمة وسط في التنظيم والتنسيق ، أمة وسط في الارتباطات والعلاقات ، أمة وسط في الزمان ، أمة وسط في المكان [٢] .

هذه أهم أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية ، ومن خلال هذا التفسير تبينت معان لها أهميتها عند الحديث عن الوسطية .

ومما سبق ذكره اتضح معنى الوسط في القرآن الكريم ، ومن المفيد أن أذكر أحاديث نبوية في بيان معنى الوسط ، ذلك لأن السنة النبوية شارحة للقرآن الكريم ومبينة له ، ومن ثم نبين علاقة ذلك بالوسطية التي هي موضوع بحثنا .

---

(١) تفسير السعدي (١/ ١٥٧) .

(٢) تفسير في ظلال القرآن : لسيد قطب : (١/١٣١) .

معنى الوسطية كما جاء في السنة النبوية

١ ــ عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ :" يدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت " فيقول : نعم ، فقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيشهدون ما أتانا من نذير : فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ " . ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

فذلك قوله ــ جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [١] .

والمراد بهذا الحديث واضح ، وهو أن الوسط فسر هنا بالعدل ، وهو المقابل للظلم، حيث إن أمة محمد ﷺ شهدوا بما علموا، ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [٢] وهو الحق ، فلم تكن شهادتهم لهوى مع نوح ــ عليه السلام ــ وحاشاهم من ذلك ــ ولم يشهدوا مع قوم نوح بالباطل ، وأنى لهم ذلك ، وهذا هو العدل؛ لأن الظلم له طرفان والعدل وسط بينهما ، فالشهادة مع أحد الخصمين بدون حق ظلم ، والشهادة بالحق دون النظر لصاحبه عدل، فأمة محمدﷺ ممن قال الله فيهم : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [٣] .

٢ ــ روي الترمذي : (قال لما نزل قوله تعالى : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [٤] ، خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر : فذلك بيننا وبينك ، زعم صاحبك أن الروم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٨٦/٥ رقم ٤٤٨٧) .

(٢) سورة يوسف من آية (٨١) .

(٣) سورة الأعراف من آية (١٨١) .

(٤) سورة الروم الآيات (١ــ ٤) .

ستغلب فارس في بضع سنين ، أفلا نراهنك على ذلك ؟! قال : بلى وذلك قبل تحريم الرهان ـــ فارهن أبو بكر رضي الله عنه والمشركون ، وتواضع الرهان ، وقالوا لأبي بكر : كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين ، فسمِّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه ، فسموا بينهم ست سنين) ، والست هنا هي الوسط بين ثلاث وتسع ، فقبلها وبعدها ثلاث[1] .

٣ ـــ عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان ، من عبد الله وحده ، وعلم أنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه كل عام ، ولم يعط الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشرط اللئيمة ، ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره "[2] .

والوسط هنا ما بين أجود الغنم وبين السيء والمعيب ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾[3] .

٤ـــ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا عند النبيﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[4][5] .

والوسط هنا : هو الشيء بين الشيئين ، متوسط بينهما ، ونجد بيان هذا الصراط في الحديث الآتي : عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى كتفه الصراط ثوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ٣١ ، (٥/ ٣٢١ رقم ٣٢١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الزكاة / باب زكاة السائمة ٢/ ١٠٣ رقم الحديث (١٩٨٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٦) .

(٣) سورة المائدة من الآية (٨٩) .

(٤) سورة الأنعام من الآية (١٥٣) .

(٥) أخرجه ابن ماجة في المقدمة : باب اتباع النبى ﷺ ٦/١ رقم ١١ ، وله شواهد ، وحسنه الشيخ الألبانى فى المشكاة رقم ١٦٦ .

الأبواب ستور مرخاة ، وعلى الصراط داع يدعو يقول : يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعًا ، ولا تعرجوا ، وداع يدعو على الصراط ، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والستور حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوقه واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم " [١] .

٥ ـ وقال ﷺ :" إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة " [٢] .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (أوسط الجنة أو أعلى الجنة ، والمراد بالأوسط هنا : الأعدل والأفضل ، كقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣] .

٦ ـ وقال ﷺ : " البركة تنزل في وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه " [٤] .

والوسط هنا: أشبه ما يكون بمركز الدائرة ومنتصفها أي : هي نقطة الالتقاء بين أطراف متساوية .

٧ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : "خط خطًا مربعًا ، وخط وسط الخط المربع ، وخطوطا إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع ، وخطا خارجا من الخط المربع ، فقال: أتدرون ما هذا ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال :" هذا الإنسان الخط الوسط ، وهذه الخطوط إلى جانبه الأعراض تنهشه " [٥] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ،كتاب الإيمان (١/ ١٤٥) رقم (٢٤٥) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولا أعرف له علة ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب درجات المجاهدين (٢٦٦/٣) ، رقم الحديث (٢٧٩) .

(٣) فتح الباري ، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين (٦/ ١٦) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في كراهية الأكل في وسط (٤/ ٢٢٩ رقم ١٨٠٥) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد : باب الأمل والأجل (٢/ ٤٢٣١ رقم ٤٢٣١) .

والوسط هنا : هو ما كان بين عدة أطراف ، والمسافة بينه وبين كل طرف متساوية .

٨ ــ وقال ﷺ :" وسطوا الإمام وسدوا الخلل" [١] أي اجعلوه وسط الصف ــ في منتصفه ــ من أمامه ، بحيث طرفا الصف متساويين بالنسبة لموقف الإمام .

٩ ــ وقال ﷺ :" لعن الله من جلس وسط الحلقة" [٢] وهو الذي يجلس في وسط الحلقة ولو لم يكن في منتصفها تمامًا وأن من جلس في داخلها بعيدًا عن أطرافها فهو في وسطها .

١٠ ــ وقال ﷺ :" أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان محقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلة الجنة لمن حسن خلقه" [٣] . والوسط هنا ما كان بين الربض والأعلى .

١١ ــ وقال ﷺ :" لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي أحب إليَّ من أن أمشي على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط القبر قضيت حاجتي أو وسط السوق " [٤] ، والمراد بالوسط هنا الوسط المكاني .

١٢ ــ وقال ﷺ :" ليس للنساء وسط الطريق" [٥] ومعنى الوسط كما في الحديث الذي سبقه من الوسط المكاني ، وهو ما كان بين الشيئين وهو منه ؛لأن المشروع في حق المرأة أن تكون بجانب الطريق لا في وسطه ، لما يحدثه من فتنة بسبب بروزها وتعرضها للرجال .

---

(١) أخرجه أبي داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب مقام الإمام من الصف (١/ ١٨٢، رقم ٦٨١) وضعفه الشيخ الألباني .

(٢) أخرجه الترمذي في سنه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية القعود في وسط الحلقة (٥/ ٨٤ رقم ٢٧٥٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٢٥٣/٤ رقم ٤٨٠٠) .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سنه ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن المشي على القبور (٤/ ٤٩٩ ، رقم ١٥٦٧) ، إرواء الغليل ، رقم (٦٣) .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني (٢/ ٥٣٦ رقم ٨٥٦) .

هذه بعض الأحاديث التي ورد فيها لفظ (الوسط) ، ومعناه ، ومنها ما يدل على معنى الوسطية ، ومنها ما ليس كذلك ،إذ لا تلازم بين الوسط والوسطية ، فكل وسطية هـــي وسط ، ولا يلزم من كل وسط أن يكون دليلاً على الوسطية ، فقد يكون مـــن الوســـط المكاني أو الزماني ونحوه .

المبحث الثاني
تحرير معنى الوسطية

من خلال ما سبق اتضح لنا أن كلمة (وسط) تستعمل في معان عدة أهمها :

١ ـــ بمعنى الخيار والأفضل والعدل .

٢ ـــ قد ترد لما بين شيئين فاضلين .

٣ ـــ وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير .

٤ ـــ وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء ، والخير والشر .

٥ ـــ وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسًا ، كوسط الطريق ، ووسط العصا . وقد تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني والمهم ـــ هنا ـــ متى يطلق لفظ (الوسطية) بل على ماذا يطلق هذا المصطلح ؟ فهناك من جعل مصطلح الوسطية مرادفًا للفظ الخيرية ، ولو لم يكن بين شيئين حسًا أو معنى .

قال فريد عبد القادر : ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفًا خاصًا محددًا للوسطية ، فنقول : بأن الوسطية هي : مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة ، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين ، وإقامة الحجة عليهم ثم قال : أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالتها اللغوية ،أي التوسط بين طرفين ، مهما كان موضوع هذا الوسط ـــ الذي تم اختياره ـــ من صراط الله المستقيم ، التزامًا وانحرافًا ، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث [1] .

ويؤكد هذا المعنى في محل آخر فيقول : ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان ، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم ، والصدق وسط ، ولا يقابله إلا الكذب [2] .

---

(١) الوسطية في الإسلام : لفريد عبد القادر ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .

وهناك من جعل (الوسطية) من التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية التي دل عليها الشرع .

قال الأستاذ فريد عبد القادر : (وقد شاع كذلك عند كثير من الناس استعمال هذا الاصطلاح الرباني ، استعمالاً فضفاضًا يلبس أي وضع أو عرف أو مسلك أرادوه ، حتى أصبحت الوسطية في مفهومهم تعني التساهل والتنازل .

وما ذكره الأستاذ فريد في تعريفه للوسطية ، وكذلك ما نقله عن غيره ففقه نظر ، ويتضح ذلك فيما سيأتي ؛لأن المتأمل في ما ورد في القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب فيما أطلق وأريد به مصطلح الوسطية يتضح له أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توافرت فيه صفتان :

١ ــ الخيرية : أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل .

٢ ــ البينية : سواء أكانت حسية أو معنوية .

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية ، والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية ــ أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو (وسط) ــ فيه نظر ، والعكس هو الصحيح ، فكل وسطية تلازمها الخيرية ، فلا وسطية بدون خيرية ، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطا .

وكذلك البينية ــ أيضًا ــ فليس كل شيئين أو أشياء يعتبر وسيطا وإن كان وسطا ، فقد يكون التوسط حسيًا أو معنويًا ، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك ؛ ولكن كل أمر يوسف بالوسطية فلا بد أن يكون بينيًا حسًا أو معنى .

ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعًا فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف : الوسطية ، وما عدا ذلك فلا ، وإلى هذا الرأي ذهب الدكتور ناصر بن سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن [1] .

وإليك بعض الأمثلة توضح ما ذهبت إليه :

---

(١) الوسطية في ضوء القرآن د/ ناصر ضياء العمر ص ٤١ ، ٤٢ .

١ ــ جاء وصف هذه الأمة بالوسطية في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(١)] ، وصح عنه ﷺ أنه فسر الوسط بالعدل [(٢)] .

وفي رواية : عدولاً [(٣)] والمعنى واحد .

٢ ــ وإذا نظرنا في تفسيرها بمعنى العدل وجدناه يتضمن معنى الخيرية ، والعدل كذلك يقابله الظلم ، والظلم له طرفان ، فإذا مال الحاكم إلى أحد الخصمين فقد ظلم والعدل وسط بينهما ، دون حيف إلى أي منهما [(٤)] .

٣ ــ وما رواه أبو داود قال رسول الله ﷺ :" ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان من عبد الله وحده ، وعلم أنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه كل عام ، ولم يُعْط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة،، ولا الشرط اللئيمة ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره" [(٥)] وهنا نجد أن الوسطية واضحة في هذا الحديث النبوي، فالبينة صريحة في الحديث أما الخيرية فهي ظاهرة بالتأمل من خلال ما يلي :

١ ــ أمر الرسول ﷺ بذلك دليل على هذه الخيرية فلا يأمر ﷺ إلا بخير : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [(٦)] ، وهل أمر الرسول ﷺ إلا شرع من الله يوحي إليه ؟

٢ ــ أننا عندما نريد أن نستخرج معنى الخيرية في السمينة السليمة الأفضل مما هو من أجود الأغنام وأغلاها .

وإذا نظرنا إلى خيرية الغنى ــ في الدنيا ــ قلنا إن الأسهل عليه أن يخرج الضعيفة الهزيلة ونحوها . ولكن الخيرية الكاملة أن ننظر إلى مصلحة الفقير ومصلحة الغنى صاحب المال ــ

---

(١) سورة البقرة من آية (١٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٥/ ١٧٦، رقم ٤٤٨٧) .

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٧) .

(٤) أخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣) من سورة البقرة (٥/١٩٠، رقم ٢٩٦١) .

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة(٢/١٠٣)، رقم الحديث (١٩٨٢)، صححه الألباني ــ رحمه الله ــ في السلسلة الصحيحة (١٠٤٦) .

(٦) سورة الأعراف من آية (٢٩) .

جميعًا ، دون ترجيح لأحسن المصلحتين على الأخرى . وهذه هي الوسطية ، وذك باستخراج ما بين أفضلها وأضعفها ــ هي الوسط ــ وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (١) هنا اتضح التلازم بين الخيرية والبينية في تحقيق معنى الوسطية .

روي الإمام البخاري في صحيحه أن أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ خطب يوم السقيفة ، وكان مما قال يخاطب الأنصار :" ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا " (٢) .

والوسطية المرادة هنا يظهر فيها معنى الخيرية جليًا لا لبس فيه ، فأين البينية ؟

فالبينية تتضح إذا علمنا ما امتازت قريش من صفات أهلتها لأن تكون خير العرب ، وهذه الصفات من الشجاعة والكرم وسائر الصفات الحميدة ، هي في حقيقتها صفات اتصفوا بأفضلها ، دون إفراط أو تفريط ، أو غلو أو جفاء ، ولذلك فقد نالوا هذه المنزلة الرفيعة من كون العرب لا تدين إلا لهم ، وما ذلك إلا لثقتهم في عدلهم من قبائل وأطراف متنافرة في أخلاقها ، متباينة في طباعها ، وذلك لخصيصة الوسطية فيهم ، ويصدق فيهم قول زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ** إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم (٣)

والعدل : هو سبب قبول حكمهم ، والعدل : فيه صفة البينية بين نوعي الظلم ، ولذلك كان وسطيًا ، فكذلك سائر صفاتهم ، وبهذا يتضح أن الخيرية والبينية ــ المعنية ، هي التي أهلته لأن يكونوا وسطًا نسبًا ودارًا .

وتأمل معنى ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا ــ رحمه الله ــ : (قالوا إن الوسط هو العدل والخيار ، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط ، والنقص عنه تفريط وتقصير ، فالخيار هو الوسط بين طرفي أي: المتوسط بينهما) (٤) .

---

(١) سورة المائدة من آية (٨٩) .

(٢) تفسير الطبري (٦/٢) .

(٣) الوسطية في ضوء القرآن د/ ناصر ضياء العمر ص ٤٥ ، ٤٧ .

(٤) انظر : تفسير المنار (٤/٢) .

وذهب الدكتور زيد عبد الكريم الزيد في كتابه الوسطية في الإسلام إلى ما ذكرته وقررته ، حيث قال :

الوسط من كل شيء أعدله ، فالوسط إذن ليس مجرد كونه نقطة بني طرفين ،أو وسطية جزئية ، كما يقال فلان وسط في كرمه ، أو وسط في دراسته ، ويراد أنه وسط بين الجيد والرديء ، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس ، فهو فهم ناقص مجتزأ ،أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة .

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود هنا هو العدل الخيار والأفضل إلى أن قال : وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاوز بين الشيئين فقط ، بل أصبح ذا مدلول أعظم ، ألا وهو البحث عن الحقيقة ، وتحصيلها والاستفادة منها .

ثم يقول : وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط[1] .

ومن خلال الأمثلة السابقة اتضح لنا التلازم بين الخيرية والبينية ـ حسية أو معنوية ـ في إطلاق مصطلح (الوسطية) ، ولهذا فعندما استخدم هذا المصطلح في بحثي هذا فإنني أقصد به ما ينطبق عليه هذا الفهم دون سواه .

(١) الوسطية في الإسلام للدكتور / زيد عبد الكريم الزيد ص(١٨) .

الفصل الثاني
في أسس الوسطية

مما سبق اتضح لنا أن الوسطية لابد لها من توافر أمرين وهما : الخيرية والبينية ، وإذا أردنا أن نعرف الوسطية على الوجه الدقيق ، هناك أسس لابد من بيانها ، ليحدد معنى الوسطية .

وهذه الأسس هي :

١ ــ الغلو أو الإفراط .

٢ ــ الجفاء أو التفريط .

٣ ــ الصراط المستقيم .

فالصراط المستقيم ، وهو وسط بين الغلو والجفاء ، أو الإفراط والتفريط ، كما يمثل الخيرية ويحقق معناها ، وبذلك يتحقق في الصراط المستقيم أمران من لوازم الوسطية ، وفي هذا المبحث سأبدأ في بيان هذه الأسس مبتدئة بالغلو والإفراط ، ثم الجفاء والتفريط ، ثم أوضح معنى وحقيقة الصراط المستقيم ، وبضدها تتبين الأشياء ، وسأركز على تحديد معنى هذه الأسس من خلال القرآن الكريم والسنة المبينة لذلك ، ثم كلام المفسرين وغيرهم من العلماء ، ومن الله أستمد السداد والإعانة والتوفيق .

المبحث الأول

الغلو والإفراط

أولاً : الغلو :

أما الغلو فقد عرفه أهل اللغة بأنه مجاوزة الحد ، فقال ابن فارس : غلو : الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر ، يقال : غلا السعر يغلو غلاء ، وذلك ارتفاعه ، وغلا الرجل في الأمر غلوًا : إذا جاوز حده ، وغلا بسهمه غلوا إذا رمي بها سهما أقصى غايته [١] .

وقال الجوهري : وغلا في الأمر يغلو غلوا ، أي جاوز فيه الحد [٢]، وقال صاحب لسان العرب : وغلا في الدين والأمر ، والأمر يغلو : جاوز حده ، وفي التنزيل : ﴿ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [٣] [٤] .

وقال بعضهم : غلوت في الأمر غلوًا وغلانية وغلانيًا : إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه وفي الحديث : " إياكم والغلو في الدين .." [٥] أي التشدد فيه ومجاوزة الحد ، كالحديث الآخر : " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق " .

هذا معنى الغلو في اللغة : وقد جاءت آيتان في القرآن الكريم فيهما النهي عن الغلو بلفظه الصريح ، قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ﴾ [٦] .

---

(١) مقاييس اللغة ، كتاب الغين ، باب الغين واللام (٤/ ٣٨٧) .

(٢) الصحاح مادة (غلا) (٦/ ٢٤٤٨) .

(٣) سورة النساء من آية (١٧١) .

(٤) لسان العرب ، فصل الغين ، باب غلا (١٥/ ١٣٢) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (٢/١٠٠٨ ، رقم ٣٠٢٩) .

(٦) سورة النساء آية (١٧١) .

قال الإمام الطبري : (لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه ، وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده ، يقال منه في الدين غلا فهو يغلو غلوًا) [١] .

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : والغلو : الإفراط ومجاوزة الحد ومنه غلا السعر ، وقال : الغلو : مجاوزة القدر في الظلم .

وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم : هو الله ، وقول بعضهم : هو ابن الله ، وقول بعضهم هو ثالث ثلاثة ، وعلى قول الحسن : غلو اليهود فيه قولهم إنه لغير رشدة ، وقال بعض العلماء : لا تغلو في دينكم بالزيادة في التشدد فيه [٢] .

وقال ابن كثير : ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه ، نقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، وساء كان حقًا أو باطلاً أو ضلالاً أو رشادًا ، أو صحيحًا أو كذبًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ [٣] .

أما الآية الثانية فجاءت في سورة المائدة قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾[٤] . [٥] .

قال الطبري ـ رحمه الله ـ : (لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل ، فتقولوا فيه : هو الله ، أو هو ابنه ، ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) [٦] .

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٣) .

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٦٠) .

(٣) سورة التوبة من آية (٣١) .

(٤) سورة المائدة آية (٧٧) .

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩) .

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦) .

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال مــن سـائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن[١] .

ومــن غلو النصارى ما ذكــره الله فــي سورة الحديد : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْــنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِــي قُلُوبِ الَّذِيــنَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَــةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَـــا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْــوَانِ اللَّهِ فَمَــا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [٢] .

قــال ابن كثير ــ رحمــه الله ــ : فــي تفسير آية المائدة : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَــابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [٣] ، أي لا تجاوزا الحــد في إتباع الحــق ، ولا تطروا مــن أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيــه حتى تخرجوه مــن حيــز النبوة إلى مقــام الإلهية ، كما صنعتم فــي المسيح وهــو نبــي مــن الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله [٤] .

وقد وردت بعض الأحاديث التي تنهي عن الغلو ، وذكر بعضها يساعد على فهم معنــاه وحده :

١ ــ عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ غداة جمع : " هلمَّ القطْ لي الحصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف ، فلما وضعهن في يده قال :" نعم بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " [٥] .

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال ، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار ، وهو داخل فيه ، مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٢٨٩) .

(٢) سورة الحديد آية (٢٧) .

(٣) سورة المائدة من آية (٧٧)

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (٢/١٠٠٨رقم ٣٠٢٩) وصــححه الــشيخ الألباني ــ رحمه الله ــ في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣) .

أنها أبلغ من الصغار ، ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم ، أي هدي من كان قبلنا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به ، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك [١] .

٢ ــ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" هلك المتنطعون" قالها ثلاثًا [٢] .

قال النووي : هلك المتنطعون : أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [٣] .

٣ ــ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول : " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار " ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [٤] [٥] .

٤ ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : " إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة" [٦] .

قال ابن حجر : والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب [٧] .

قال ابن رجب : والتسديد العمل بالسداد ، وهو القصد والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه [٨] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥ رقم ٢٦٧٠) .

(٣) شرح مسلم للنووي ، كتاب العلم ، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن (١٦/ ٢٢٠) .

(٤) سورة الحديد من آية (٢٧) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الحسد (٤/ ٢٧٧ رقم ٤٩٠٤) ضعفه الشيخ الألباني في ضعيفه رقم (٦٢٣٢) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ٠١/ ١٨ رقم٣٠) .

(٧) مع فتح الباري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر (١/ ١١٦) .

(٨) المحجة في سير الدلجة لابن رجب (٥١) .

٥ ـــ وروي الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال : "اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه" (١) .

٦ ـــ وروي عنه ﷺ أنه قال :" يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغاليين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " (٢).

والأحاديث السابقة ترشدنا إلى أن الغلو خروج عن المنهج وتعد للحد ، وعمل ما لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ ، والأحاديث التي تنهي عن الغلو كثيرة وليس هدفي في هذا البحث حصرها ، وإنما اكتفيت ببعض الأحاديث التي لها دلالة على ما نحن بصدده ، وهو تحديد معنى الغلو ومفهومه وحكمه ، ومن ثم علاقته بالوسطية ، ولعلماء المسلمين تعريفات كثيرة لمعنى الغلو ، واخترت منها في بحثي هذا تعريفين :

أولاً : تعريف ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ : الغلو مجاوزة الحد مجاوزة بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك (٣) .

ثانيًا : تعريف ابن حجر : إذ يقول : الغلو : المبالغة في الشيء والتشديد فيه يتجاوز الحد(٤) .

وضابط الغلو: هو التعدي ما أمر الله به ، وهو الطغيان الذي ينهي عنه (٥) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾(٦) ، ومما سبق من التعريف اللغوي وما ورد فيه من آيات وأحاديث وكذلك من تعريف العلماء يتضح لنا أن الغلو هو: مجاوزة الحد في الأمر المشروع ، وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشارع العليم الخبير الحكيم .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٢٨ ، ٤٤٤) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٦٨) .

(٢) قال الشيخ الألباني ـــ رحمه الله ـــ في تعليقه على أحاديث المشكاة ، رقم (٢٤٨) إن الحديث مرسل .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩) .

(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٥٦) .

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٢٥٦ .

(٦) سورة طه من آية (٨١) .

وقد أفاد وأجاد الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق في إيضاح حقيقة الغلو وكشف حدوده ومعالمه في رسالته العلمية : الغلو في الدين [١] .

وقسم الغلو إلى أقسام :

أولاً : أن منشأ الغلو بحسب متعلقه ينقسم إلى ما يلي :

أ ـ إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل عبادة وترهبًا ، ومقياس ذلك الطاقة الذاتية حيث إن تجاوز الطاقة في أمر مشروع يعتبر غلوا ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

ما رواه أنس بن مالك رضي الله نه قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين سارتين فقال :" ما هذا الحبل؟ " فقالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ :"حلوه ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد" [٢] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث : وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة ، والنهي عن التعمق فيها [٣] .

ب ـ تحريم الطيبات التي أباحها الله على وجه التعبد ، أو ترك الضرورات أو بعضها ، ومن أدلة ذلك قصة النفر الثلاثة ، حيث روي أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدًا ، قال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا .

فجاء رسول الله ﷺ فقال: " إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [٤] .

---

(١) الغلو في الدين ص ٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشدد في العبادة (٢/ ٦١ رقم١١٥٠) .

(٣) فتح الباري (٣/ ٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح (٣/١٠٢٠ رقم ١٤٠٢) .

وكذلك لو اضطر مسلم إلى شيء محرم ، كأكل حيوان محرم أو ميتة ، وترك ذلك يؤدي به إلى الهلكة ، فإن ذلك من التشدد ، وبيان ذلك: أن الله هو الذي حرم هذا الشيء في حالة اليسر ، وهو سبحانه الذي أباح أكله في حالة الاضطرار ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) .

٣ ــ أن يكون الغلو متعلقًا بالحكم على الآخرين ، حيث يقف من بعض الناس موقف المادح الغالي ، ويقف من آخرين موقف الذام الجافي ، ويصفهم بما لا يلزمهم شرعًا كالفسق أو المروق من الدين ونحو ذلك ، وفي كلا الحالين يترتب على ذلك أعمال هي من الغلو ، كالحب والبغض ، والولاء والهجر ، وغير ذلك .

ثانيًا : أن الغلو في حقيقته حركة في اتجاه الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية ، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدها الشارع ، فهو مبالغة في الالتزام بالدين ، وليس مروقًا عنه في الحقيقة ، بل هو نابع من القصد في الالتزام به (٢) .

ثالثًا : أن الغلو ليس هو الفعل فقط ؛ بل قد يكون تركًا ، فترك الحلال كالنوم والأكل ونحوه من أنواع الغلو ، إذا كان هذا الترك على سبيل العبادة ، والتقرب إلى الله كما يفعل بعض الصوفية والنباتيين (٣) .

رابعًا : الغلو على نوعين : اعتقادي وعملي .

الاعتقادي على قسمين :

اعتقادي كلي ، واعتقادي فقط .

والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي ما كان متعلقًا بكليات الشريعة وأمهات مسائلها .

أما الاعتقادي فقط فهو ما كان متعلقًا بباب العقائد دون غيرها كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي أو تكفير أفراده واعتزالهم .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٣) .

(٢) الغلو في الدين عبد اللوحيق ص ٨٤ .

(٣) المصدر السابق (٨٤) .

ويدخل في الغلو الكلي الاعتقادي الغلو في فروع كثيرة إذ أن المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في أمر كلي [١] .

أما الغلو الجزئي العملي ، فهو ما كان غلوًا في جزئية من جزئيات الشريعة ومتعلقًا بباب الأعمال دون الاعتقاد ، فهو محصور في جانب الفعل سواء أكان قولا باللسان أم عملا بالجوارح [٢] .

والغلو الكلي الاعتقادي أشد خطرًا ، وأعظم ضررًا من الغلو العملي إذ أن الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الشقاق والانشقاق ، وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم ، وذلك كغلو الخوارج [٣] والشيعة [٤] .

خامسًا : أنه ليس من الغلو طلب الأكمل في كمية العبادة ، بل يدخل في تحديد الأكمل أمور عدة تتعلق بالعمل ، وبمن قام بالعمل ، وكذلك من له صلة بهذا العمل .

فالصدقة ــ مثلا ــ يراعي فيها : المتصدق والمتصدق عليه ، والمال المتصدق به، ولا يسمى كمالا كليًا بالنظر للكمال الجزئي ، وذكر ابن حجر ــ رحمه الله ــ ما يؤيد هذا المعنى ونسبه إلى ابن المنير فقال: وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة ،فإنه من الأمور المحمودة ،بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل [٥] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٢٨٩ .

(٢) الغلو في الدين عبد الرحمن اللويحق ص ٧٧ .

(٣) سموا بذلك لخروجهم على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يجمعهم إكفار علي ، وعثمان ،والحكمين ، وأصحاب الجمل ، والخروج على السلطان الجائر ، وتكفير صاحب الكبيرة ، وتخليده في النار ، خلافًا للنجدات منهم (نجدة بن عامر) وتفرقوا إلى أكثر من عشرين فرقة ، انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (٨٦/١) والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤) واعتقادات فرق المسلمين للفخر الرازي ص ٤٦ .

(٤) سموا بذلك لمشايعتهم على بن أبي طالب رضي الله عنه وقولهم بإمامته ، نصا ووصية : إما جليًا ، وإما خفيًا ، وأن الإمام لا تخرج من ولده إلا بظلم من غيره أو تقية منه، والإمامة عندهم من أصول الدين وقالوا بوجوب العصمة للأنبياء عن الكبائر والصغائر ، والتولي والتبري قولا وفعلا وعقدًا ، إلا في حالة التقية، وقد يطلق اسم الرافضة على الشيعة وهذا كثير ، وقد يراد بالرافضة الفرقة التي في مقابل الزيدية لرفضهم زيد بن علي في قتاله هشام بن عبد الملك ، انظر: الملل والنحل(١/ ١٤٦ ــ ١٤٧) .

(٥) فتح الباري (٩٤/١) ، والغلو في الدين ص٨٥ .

سادسًا : أن الحكم على العمل بأنه غلو ، أو أن هذا المرء من الغلاة ، باب خطير ،لا يقدر عليه إلا العلماء الذين يدركون حدود هذا العمل ، وتبحروا في علوم العقائد وفروعها ؛لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره ، فقد يكون الأمر مشروعًا ويوصف صاحبه بالغلو ، وها نحن نرى اليوم أن الملتزمين بشرع الله ، المتمسكين بالكتاب والسنة يوصفون بالغلو والتطرف والتزمت ونحوها، ولذلك فإن المعيار في الحكم على الأعمال والأفراد والجماعات هو الكتاب والسنة وليست الأهواء والتقاليد والأعراف والعقول ، وما تعارف عليه الناس ، وقد ضل في هذا الباب أمم وأفراد وجماعات .

وبعد أن اتضح لنا معنى (الغلو) لغة وشرعًا ،وما يتعلق به من معان وأقسام أوضح معنى (الإفراط) بإيجاز ، حيث ستتضح صلته بالغلو .

ثانيًا : الإفراط :

لغة هو : التقدم ومجاوزة الحد .

قال ابن فارس : يقال : أفرط : إذا تجاوز الحد في الأمر ، ويقولون : إياك والفرط ، أي لا تجاوز القدر ، وهذا هو القياس ؛ لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته [(١)] .

وقال الجوهري : وأفرط في الأمر :أي جاوز في الحد [(٢)] .

والإفراط : الإعجال والتقدم .وأفرط في الأمر:أسرف وتقدم ، وكل شيء جاوز قدره فهو مفرط [(٣)] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ﴾ [(٤)] .

قال الطبري : وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدي ، يقال منه: أفرطت في قولك ، إذا أسرف فيه وتعدي ، وأما التفريط : فهو التواني، يقال منه فرطت في هذا الأمر حتى فات ، إذا توانى فيه [(٥)] .

---

(١) مقاييس اللغة ، كتاب الفاء والراء (٤/ ٤٩٠) .

(٢) مختار الصحاح مادة (فرط) (٣/ ١١٤٨) .

(٣) لسان العرب : فصل الفاء ، باب فرط (٧/ ٣٦٩) .

(٤) سورة طه من آية (٤٥) .

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٠) .

ونخلص مما سبق أن معنى الإفراط : تجاوز الحد ، والتقدم عن القدر المطلوب وهو عكس التفريط سيأتي .

وقد تبين مما سبق من تعريفي الغلو والإفراط أن كلا منهما يصدق عليه تجاوز الحد ، وقد فسر الغلو بالإفراط كما سبق وإن كل واحد منهما يحمل معنى أبلغ من الثاني في بعض مـــا يستعمل فيه، فالذي يشدد على نفسه بتحريم بعض الطيبات ، أو بحرمان نفسه منها وصـــف الغلو ألصق به من الإفراط ، والذي يعاقب من اعتدى عليه عقوبة يتعدى بها حـــدود مثـــل تلك العقوبة يوصف بالإفراط وهكذا .

والذي يهمنا في هذا المبحث أن كلا من الغلو والإفراط خروج عن الوسطية ، فكل أمـــر يستحق وصف الغلو أو الإفراط فليس من الوسطية في شيء .

المبحث الثاني
التفريط والجفاء

أولاً : التفريط :

وبعد أن اتضح لنا معنى الغلو والإفراط ، وما يدل عليه كل منهما ، نقف الآن مع ما يقابلهما ، وهو التفريط والجفاء ، والتفريط في اللغة هو التضييع كما في لسان العرب .

وفي حديث علي رضي الله عنه : (لا يرى الجاهل إلا مُفْرِّطًا أو مفْرطًا) وهو بالتخفيف المسرف في العمل ، وبالتشديد المقصر فيه ، وفرط في الأمر يفرط فرطًا أي : قصر فهي وضيعه حتى فات ، وكذلك التفريط [١] .

ومنه قول الرسول ﷺ : " أما إنه ليس في النوم تفريط" [٢] . وإذن فالتفريط هو التقصير والتضييع والترك .

قال ابن فارس : وكذلك التفريط ، وهو التقصير ؛ لأنه إذا قصر فيه فقد قعد عن رتبته التي هي له [٣] .

وقد وردت مادة (فرط) في القرآن في عدة مواضع :

قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [٤] .

قال الطبري ـــ رحمه الله ـــ : يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها [٥] .

وقال القرطبي : وفرطنا معناه : ضيعنا ، واصله التقدم ، فقولهم : فرطنا أي قدمنا العجز .

وقيل : (فرطنا) أي جعلنا غير الفارط السابق لنا إلى طاعة الله وتخلفنا [٦] .

---

(١) لسان العرب ، فصل الفاء ، باب فرط (٧/ ٣٦٩) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة (٤٧٣/١ ، رقم ٦٨١) .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، كتاب الفاء ، باب الفاء والراء (٤/ ٤٩٠) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٣٤) .

(٥) الطبري في تفسيره (٧/ ١٧٨) .

(٦) انظر : تفسير الطبري (٦/ ٤١٣) .

ثانيًا : الجفـــاء :

فقال ابن فارس ــ رحمه الله ــ : الجيم والفاء والحرف المعتل يدل على أصل واحد : نبو الشيء عن الشيء ، من ذلك : جفوت الرجل ، جفوة ، وهو ظاهر الجفوة ، أي الجفـــاء ، وجفاء السرج عن ظهر الفرس ، وأجفيته أنا . وكذلك لك شيء إذا لم يلزم شيئًا ، يقـــال : جفا عنه يجفو .

والجفاء : خلاف البر، والجفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء[١].

وقال ابن منظور[٢] : جفا الشيء يجفو جفاء وتجافى : لم يلزم مكانه ، كالسرج يجفــو عـــن الظهر ، وكالجنب يجفو عن الفراش ، وفي التنزيل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَـــضَاجِعِ﴾ [٣] ، وفي الحديث: "اقرؤوا القرآن ولا تجافو عنه" [٤] أي تعاهدوه ولا تبتعدوا عن تلاوته .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " الحياء مـــن الإيمـــان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار " [٥] .

وفي الحديث أيضًا : " من بدا جفاء" [٦] ، بدا : بالدال المهلة ، خرج إلى البادية ، والجفـــاء غلظ الطبع ، وفي صفته ﷺ ليس بالجافي المهين أي: ليس بالغليظ الخلقة ولا الطبع [٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء﴾ [٨] .

قال الطبري : زعم بعض أهـــل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله : ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَـــاء ﴾ تنشفه الأرض ، وقال : يقال : جفا الوادي وأجفى ، في معنى نشف [٩] .

---

(١) مقاييس اللغة ، كتاب الجيم، باب الجيم والفاء ، مادة جفو (١/ ٤٦٥) .

(٢) لسان العرب ، فصل الجيم ، باب جفا (١/٤٩) .

(٣) سورة السجدة من آية (١٦) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٢٨ ، ٤٤٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٦٨) .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الصلة والبر ، باب ما جاء في الحياء (٤/ ٣٢٠ رقم ٢٠٠٩) .

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧١ ، ٤٤٠) وصححه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة رقم (١٢٧٢) .

(٧) انظر : لسان العرب ، فصل الجيم ، باب جفا (١/ ٤٩) .

(٨) سورة الرعد من آية (١٧) .

(٩) انظر : تفسير الطبري (١٣/ ١٣٧) .

وبذلك يتضح أن الجفاء هو الترك ، والبعد ، وهو غالبًا ما يحدث خلاف الأصل والعادة ، وأكثر ما تستعمل كلمة جفاء لما هو محرم منهي عنه كالجفاء بما يقابله الصلة والبر ، والجفاء الذي هو من الشدة والغلظة وهذه أمثلة يتضح فيها معنى التفريط والجفاء .

١ ـ عقوق الوالدين : جفاء .

٢ ـ تأخير علم اليوم إلى الغد ـ دون سبب ـ : تفريط .

٣ ـ إهمال تربية الأولاد : تفريط .

٤ ـ ترك الأخذ بالأسباب : تفريط .

٥ ـ رؤية المنكرت وعدم إنكارها مع القدرة على ذلك : تفريط .

٦ ـ الغلظة في المعاملة : جفاء .

٧ ـ تأخير الصلاة عن وقتها : تفريط .

٨ ـ السلبية مع واقع المسلمين وشؤونهم وشجونهم : جفاء وتفريط .

٩ ـ عدم القيام بحقوق العلماء وضعف الصلة بهم : جفاء وتفريط .

١٠ ـ قطع الأرحام وعدم صلتهم : جفاء وتفريط .

وبهذا يتبين معنى التفريط والجفاء ، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وهما يقابلان معنى الغلو والإفراط .

وعند التأمل في استعمال العرب لهما يلاحظ :

أن الجفاء يستعمل ـ غالبًا ـ فيما فيه قصد الأمر من الترك والبعد وسوء الخلق . أما التفريط فمنشؤه ـ غالبًا ـ التساهل والتهاون .

والخلاصة : أن كل أمر اتصف بالتفريط أو بالجفاء فإنه يخالف الوسطية ، وبمقدار اتصافه بأي من هذين الوصفين يكون بعده عن الوسطية وتجافيه عنها .

هذا وبعد أن بينا معنى التفريط والجفاء سنذكر أسبابه حتى يكون المسلم على بينة من أن يحيد عن طريق الوسطية .

أسباب التفريط والجفاء في الدين [١]

١ ـــ التدنس بالمعصية :

بأن يكون المسلم غير محترس أو متحزر من المعصية ، لا سيما الصغائر ، تلك التي يستهين بها كثير من الناس ، ولا يولونها رعاية أو أهمية ، وحينئذ فلابد من العقاب ، ويكون العقاب بأمور كثيرة ، من بينها التفريط في عمل اليوم والليلة ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [٢] .

وقال ﷺ : " لا يصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر ، وقرأ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ﴾ .. الآية" [٣] .

وهذا الحسن يسأله رجل قائلاً :" يا أبا سعيد إني أبيت معافي ، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري ، فما بالي لا أقوم ؟ فقال: ذنبوك قيدتك" [٤].

٢ ـــ التوسع في المباحات :

وقد يكون التوسع في المباحات من الطعام ، والشراب ، واللباس ، والمراكب ، ونحوها هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن هذا التوسع يورث الركون ، والنوم ، والراحة ، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى مثل هذا التفريط

---

(١) كتاب أفات على الطريق للدكتور / السيد محمد نوح ، الآفة الرابعة عشرة : التفريض في عمل اليوم والليلة ص ٢٩٩ .

(٢) سورة الشورى آية (٣٠) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة " حمعسق" ٤/٣٧٧ ــ ٣٧٨ رقم ٣٢٥٢ من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به ، وعقب عليه قائلاً :" هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " .

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٣٥٦ .

يقول النبي ﷺ :" فأبشروا ، وأملوا ما يسركم ، فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوا . وتهلككم كما أهلكتهم " (١) .

٣ ـ عدم إدراك قيمة النعم ، وسبيل الدوام :

وقد يكون عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام هو السبب في التفريط في علم اليوم والليلة ، ذلك أن من لم يدرك أن نعم الله على العباد ، الظاهر منها والباطن ، والمعلوم منها وغير المعلوم ، شيء لا يعد ولا يحصى .

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٣) ، ومن غفل عن أن دوام هذه النعم إنما يكون بالشكر : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٤) ، ومن الشكر المواظبة على عمل اليوم والليلة من العبادات والطاعات ، من لم يدرك هذا كله ، وغفل عنه ، فإنه يقع منه لا محالة التفريط في عمل اليوم والليلة ، وصدق الله : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ (٥) ، قال الحسن البصري ، وأبو العالية ، والسدى ، والربيع بن أنس :

" إن الله يذكر من ذكره ، ويزيد من شكره ، ويعذب من كفره "(٦) .

٤ ـ الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة :

وقد تكون الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة ، هي السبب في التفريط في هذا العمل ، فإن من غفل عن أنه بحوله وقوته ضعيف ، وأنه بحول الله وقوته قوى ، وأنه لابد له ، كي ينجح في أداء دوره ، والقيام بواجبه في هذه الأرض ، لابد له من عون الله وتأييده

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق / باب ما يحذر من زهرة الدنيا وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزهد والرقاق رقم ٢٩٦١ كلاهما من حديث عمرو بن عوف واللفظ لمسلم .

(٢) سورة إبراهيم من الآية (٣٤) .

(٣) سورة لقمان من آية (٢٠) .

(٤) سورة إبراهيم من آية (٧) .

(٥) سورة البقرة آية (١٥٢) .

(٦) الأثر أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٩٦ بهذا اللفظ من غير إن يعزوه لأحد .

ونصره ، وأن المواظبة على عمل اليوم والليلة هي التي تستجلب هذا العون ، وذلك التأييد والنصر : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) .

وقال ﷺ :" .. . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، وأن استعاذني لأعيذنه .. " (٢) .

٥ ــ نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد :

وقد يكون نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد ، هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن من نسي أنه ميت لا محالة وإن طال الأجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ .. . ﴾ (٣) .

وقد ألمح إلى ذلك النبي ﷺ إذ دخل مصلاه ، فرأى ناسًا كأنهم يكتشرون (٤) ، فقال :" أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى :الموت ، فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود .. . " (٥) .

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق: باب التواضع ١٣١/٨ من حديث أبي هريرة مرفوعًا به ، وأخرجه أحمد في : المسند ٢٥٦/٦ نحوه من حديث عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : قال الله ــ عز وجل ــ : " من أذل وليا فقد استحل محاربتي ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء الفرائض ، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وإن سألني أعطيته ، وإن دعاني أجبته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى على وفاته لأنه يكره الموت" .

(٣) سورة آل عمران من آية (١٨٥) .

(٤) يكتشرون : أى تظهر أسنانهم من الضحك . النهاية ٢١/٤ .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في ذكر الموت ، والنسائي في : السنن : كتاب الجنائز : باب كثرة ذكرت الموت ٤/٤ من حديث أبي هريرة ، وابن ماجة في: السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٢ رقم ٣٢٥٨ من حديث أبي هريرة ، وأحمد في : المسند ٢٩٢ ــ ٢٩٣ من حديث أبي هريرة ، وقال الترمذي عقب رواية أبي هريرة : " هذا حديث حسن غريب وعقب رواية أبي سعيد :" هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " .

٦ ــ ظن بلوغ الكمال :

وقد يكون ظن بلوغ الكمال هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن الإنسان قد ينسى نفسه ، وينسى أنه مهما عمل وأطاع بالليل والنهار ، فلن يستطيع شكر أدنى نعمة من نعم الله ــ تعالى ــ عليه ، ويحمله هذا النسيان ــ مع عوامل أخرى ــ على ظن بلوغ الكمال ، وحينئذ يقع منه التفريط في علم اليوم والليلة .

ولعل هذا هو ما نفهمه من حديث النبي ﷺ إذ يقول :" الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله " [(١)] .

٧ ــ كثرة الأعباء والواجبات :

وقد تؤدي كثرة الأعباء والواجبات إلى التفريط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن الإنسان في زحمة العمل ، وفي إلحاح الأعباء والواجبات ، قد يهمل في علم اليوم والليلة بحجة ضيق الوقت ، وضرورة الفراغ من هذه الأعباء وتلك الواجبات ، ناسيًا أو متناسيًا أن زاده على الطريق للخروج من كل ما هو مطلوب منه إنما يكمن في المواظبة على عمل اليوم والليلة ، إذ الوقت والطاقات والإمكانات كلها ملك الله ، وبيده سبحانه ، وحين يرى من العبد إقبالاً عليه ، وتلذذًا بطاعته وذكره يمتن ويتفضل عليه بالبركة في الوقت ، والقوة في الإرادة ، والمضاء في العزيمة ، والسداد في الرأي :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [(٢)] .

٨ ــ التسويف :

وقد يكون التسويف هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن من تعود التسويف أو التأجيل تتراكم عليه الواجبات أو الأعباء ، وحين يريد الخلاص أو الخروج

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب منه ٤/ ٦٣٨ رقم ٢٤٥٩ وابن ماجة في : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٣ رقم ٤٢٦٠ ، وأحمد في : المسند ٤/ ١٢٤ كلهم من حديث أبي يعلي شداد بن أوس ــ رضي الله عنه ــ مرفوعًا به .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢ ــ ٣ .

منها ، تصبح ثقيلة أو شاقة عليه ، وحينئذ لا يكون منه إلا التفريط أو التضييع ، ولعل هـذا هو المفهوم من قوله ﷺ : " بادروا بالأعمال الصالحة سبعًا ، وهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غني مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو مـوتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر " (١) .

٩ ــ مشاهدة بعض ذوي الأسوة على حال من التفريط :

وأخيرًا .. قد تكون مشاهدة بعض ذوي الأسوة والقدوة ، على حال من التفريط ، هـي السبب في عدم المواظبة على علم اليوم والليلة ، ذلك أن المسلم أحيانًا ينظر إلى ذوي الأسوة والقدوة ، على أهم نمط فريد من الناس ، لا يمكن أني قع منهم تفريط أو تقصير ، وحين يطلع منهم أو من بعضهم على شيء من التفريط ، فإن هذه النظرة قد تحمله على محاكاقم ، ناسيًا أنه لا طاعة ولا محاكاة في المعصية ، وإنما في المعروف فقط .

ولعل هذا السبب هو المفهوم من تشديد الإسلام على عدم المجاهرة بالإثم ، إذ يقول ﷺ : " كل أمتي معافي إلا المجاهدين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه " (٢) .

---

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٤/ ٥٥٢ رقم ٢٣٠٦ من حديث أبي هريرة مرفوعا به .

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب الأدب : باب ستر المؤمن على نفسه ٨/ ٢٤ ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ٤/ ٢٢٩١ رقم ٥٢ (٢٩٩٠) ، كلاهما من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ مرفوعًا ، واللفظ للبخاري .

المبحث الثالث
الصراط المستقيم

إننا بدون فهم معنى (الصراط المستقيم) ، وتحديد مدلوله ، لا نستطيع فهم الوسطية على معناها الصحيح ، وقد ورد لفظ الصراط المستقيم ، في القرآن الكريم عشرات المرات ، وجاء أيضًا بلفظ ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [١] ،و﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٢] ، ﴿ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [٣] ونحو ذلك .

ففي سورة الفاتحة تجد قوله تعالى : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ [٤] . ثم يفسره بأنه ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [٥] .

وفي سورة البقرة جاء قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٦] .

وجاء بعد هـذه الآية مباشرة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [٧] ، وفي سورة آل عمران يقول الله ــ عز وجل ــ على لسان عيسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [٨] .

وقول الله في سورة الأنعام : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [٩] .

هذه بعض الآيات التي وردت في ﴿الصِّرَاطِ﴾ فما معناه ؟

---

(١) سورة الفتح آية (٢) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٦) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٥٣) .

(٤) سورة الفاتحة آية (٦) .

(٥) سورة الفاتحة آية (٧) .

(٦) سورة البقرة من آية (١٤٢) .

(٧) سورة البقرة من آية (١٤٣) .

(٨) سورة آل عمران آية (٥١) .

(٩) سورة الأنعام آية (١٥٣) .

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (١) .

أجمعت الأمـــة مـــن أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وذلك في لغة جميع العرب (٢) .

وقال ابن عباس : قال جبريل لمحمد ﷺ : اهدنا الصراط المستقيم : يقول ألهمنا الطريـــق الهادي ، وهو دين الله الذي لا عوج له (٣) .

قـــال الطبـــري : وإنمـــا وصفه الله بالاستقامة ؛ لأنه صواب لا خطأ فيه (٤).

وقال ابن كثير : واختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله ورسوله (٥) .

وإليك أقوال المفسرين في الصراط المستقيم :

فقد روي الطبري عن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ أنه قال : ذكـــر القرآن فقال :" هو الصراط المستقيم " (٦) .

وقال عليّ : الصراط المستقيم : كتاب الله تعالى .

وبمثل ذلك فسره عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ وقال جابر بن عبـــد الله ـــــ رضي الله عنه ــ اهدنا الصراط المستقيم الإسلام، قال : هو أوسع مما بين السماء والأرض ، وقال ابن عباس : ذلك الإسلام ، وقال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ هو الطريق (٧) .

---

(١) سورة الفتحة آية ٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١/ ٧٣) .

(٣) المصدر نفسه (١/ ٧٤) .

(٤) المصدر نفسه (١/ ٧٥) .

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧) .

(٦) أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فـضل القـرآن ، (٥/ ١٥٨ رقــم ٢٩٠٦) ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال ، وأخرجه أيضًا الدارمي (٢/ ٥٢٧ رقم ٣٣٣٢) ، وأخرجه أحمد مختصرًا (١/ ٩١) قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (١١ــ ١٢) وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمــير المؤمنين ــ رضي الله عنه ــ وقد وهم بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح .

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧) .

وقال القاسمي ــ رحمه الله ــ : أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث له مهم ننشره عنه هنا لما فيه من الفوائد الجلية ، قال ــ رحمه الله ــ : ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين : أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض ، بل يمكن أن يكون كل منهما حقا ، وإنما هو اختلاف تنوع ، أو الاختلاف في الصفات أو العبادات ، وعامة الاختلاف الثابت بين مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب ، فالله ــ سبحانه وتعالى ــ إذا ذكر في القرآن اسما مثل قوله : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الُمستَقِيمَ ﴾ (١) ، فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته ، وكل ذلك حق ، بمنزلة ما يسمى الله رسوله ، وكتابته بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته .

فيقول بعضهم : الصراط المستقيم : كتاب الله أو أتباع كتاب الله .

ويقول الآخر : الصراط المستقيم هو الإسلام أو دين الإسلام .

ويقول الآخر : الصراط المستقيم : هو السنة والجماعة .

ويقول الآخر : الصراط المستقيم : طريق العبودية ، أو طريق الخوف والرضا والحب ، وامتثال المأثور واجتناب المحظور ، أن متابعة الكتاب والسنة ، أو العمل بطاعة الله ونحو هذه العبارات والأسماء ، ومعلوم أن المسمى هو واحد ، وإن تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه (٢) .

ثم قال في موضع آخر : فإن الصراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل ، ولا تفعل ما نهيت عنه ، وهذا يحتاج في وقت إلى أن تعلم ما أمر به في ذلك الوقت ، وما نهي عنه ، وإلى أن يحصل لك إرادة جازمة لفعل المأمور ، وكراهة لترك المحظور ، والصراط المستقيم قد فسر بالقرآن أو الإسلام، وطريق العبودية، وكل هذا حق، فهو موصوف بهذا وبغيره.

قال القاسمي ــ رحمه الله ــ : الصراط المستقيم أصله الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، ويستعار لكل قول أو عمل يبلغ به صاحبه الغاية الحميدة ، فالطريق الواضح للحس ، كالحق للعقل ، في أنه إذا سير بهما أبلغنا السالك النهاية الحسني (٣) .

---

(١) سورة الفاتحة آية (٦) .

(٢) تفسير القاسمي (١/ ٢٠) .

(٣) تفسير القاسمي ١/ ١٩ .

وقال ابن عاشور ــ رحمه الله ــ : والصراط في هذه الآية (آية الفتحة) مستعار ــ لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضا الله ؛لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه ، والمستقيم : اسم فاعل من استقام ، مطاوع قومته فاستقام ، والمستقيم :الذي لا اعوجاج فيه ولا تعاريج ، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيما ، وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره ، فلا يضل فيه سالكه ، ولا يتردد ولا يتحير . والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخالطه شبهة باطل ، فهو كالطريق الذي لا تتخلله ثنيات ، ثم قال : والأظهر عندي أن المراد بالصراط المستقيم : المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل [١] .

هذه بعض أقوال المفسرين في معنى الصراط المستقيم ، كما ورد في سورة الفاتحة .

وحيث وردت آيات كثيرة ذكر فيها الصراط المستقيم . قال تعالى : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٢] .

قال مجاهد : وسددناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوج ، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه ، وهو الإسلام الذي ارتضاه ربنا لأنبيائه ، وأمر به عباده [٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ [٤] .

قال الطبري ــ رحمه الله ــ : هو صراط ربك ، يقول : طريق ربك ، ودينه الذي ارتضاه لعباده ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ يعني قويمًا لا اعوجاج به عن الحق [٥] .

وبهذا يتضح أن معنى الصراط في جميع هذه الآيات معنى واحد وإن اختلفت العبرة والسياق .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (١/ ١٩٠) .

(٢) سورة الأنعام من آية (٨٧) .

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٢) .

(٤) سورة الأنعام من آية (١٢٦) .

(٥) انظر : المرجع السابق (٨/ ٣٢) .

يقول الدكتور / يوسف القرضاوي : والوسطية تعني استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف . فالمنهج المستقيم ، وبتعبير القرآن (الصراط المستقيم) هو ـ كما عبر أحد المفسرين ـ الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائزة عن القصد إلى الجوانب . فإذا فرضنا خطوطًا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين ، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة : أن تكون الأمة المهدية إليه وسط بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة .

ومن هنا علّم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة ، هي عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة ، وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته فيقول داعيًا ربه : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (١) .

والإسلام وحده ينفرد بهذه المزية (الوسطية) دون غيره من الملل ـ جاء في التفسير المأثور التمثيل للمغضوب عليهم باليهود وللضالين بالنصارى ، والمعنى في ذلك : أن كلا من اليهود والنصارى يمثلون الإفراط والتفريط في كثير من القضايا فاليهود قتلوا الأنبياء والنصارى ألّهوهم .. اليهود أسرفوا في التحريم ، والنصارى أسرفوا في التحليل ، حتى قالوا : كل شيء طيب للطيبين .. . اليهود غلوا في الجانب المادي ، والنصارى قصروا فيه .. اليهود تطرفوا في اعتبار الرسوم في الشعائر والتعبدات ، والنصارى تطرفوا في إلغائها .

والإسلام يُعلّم المسلم أن يحذر من تطرف كلا الفريقين ، وأن يلتزم المنهج الوسط ، أو الصراط المستقيم ، الذي سار عليه كل من رضي اله عنهم ، وأنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (٢) .

فالوسطية تعني إتباع الصراط المستقيم والثبات عليه والحذر من الميل إلى أحد جانبيه ، ولقد ضرب النبي ﷺ ـ لذلك مثلا محسوسًا :

---

(١) سورة الفاتحة الآيات (٦، ٧) .

(٢) الوسطية الإسلامية ومعالمها د: يوسف القرضاوي ص ١٧ ، ١٨ .

فعن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي ﷺ فخط خطًا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال (هذا سبيل الله) ثم كلا هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [(١)] .

مما تقدم يتضح أن معنى الصراط المستقيم يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي كما تبين ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية فما المراد بالاستقامة ؟

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ :" الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، وتروغ روغان الثعالب " [(٢)] .

وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ (استقاموا أخلصوا العمل لله) [(٣)] .

وقال على بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (استقاموا : أدوا الفرائض) [(٤)]،

وقال الحسن : (استقاموا على أمر الله ، فعملوا بطاعته ، واجتنبوا معصيته) .

وقال مجاهد: (استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله) [(٣)]

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمينه ولا يسره) [(٢)] .

وهذه المعاني متقاربة ويفسر بعضها بعضا .

واختم الكلام عن الاستقامة بما قاله ابن القيم في مدارج السالكين مما يتضح علاقة الاستقامة بالوسطية وأنه لا استقامة بلا وسطية ، ولا وسطية بدون استقامة قال : (وهي ـ أي الاستقامة ـ على ثلاث درجات الدرجة الأولى الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، ولا عاديًا رسم العلم ولا متجاوز حد الإخلاص ، ولا مخالفًا نهج السنة [(٣)] .

وبالتأمل فيما سبق يتضح لنا ما يلي .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة ، باب إتباع رسول الله ﷺ (٦/١) رقم ١١ ، وله شواهد ، وحسنه الشيخ الألباني في المشكاة رقم ١٦٦ ونقل عن الحاكم تصحيحه .

(٢) (٣) (٤) تهذيب مدارج السالكين ٢/ ٥٢٨ .

(١) (٢) المرجع السابق ٢/ ٥٢٩ .

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٠٥ .

١ ــ أن الصراط المستقيم : يمثل قمة الوسطية وذروة سنامها وأعلى درجاتها ، وآيتا الفاتحة والبقرة حجة قاطعة في ذلك .

٢ ــ أن الوسطية الخيرية سواء كانت خير الخيرين أو خيرين شرين ، أو خيرًا بين أمرين متفاوتين .

٣ ــ أن القياس لتحديد الخيرية هو الشرع وليس هو الناس أو ما تعارفوا أو ألفوه فإن مفهوم الوسطية عند كثير من الناس تعني التنازل أو التساهل بل والمداهنة أحيانًا ، حيث يختارون الأمر بين الخير والشر وهو إلى الشر أقرب حقيقته ومآله ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

المبحث الرابع

معايير الوسطية وضوابطها

إن الوسطية ليست وسطية جاءت من الواقع وانبثقت منه وأدى التفكير الواقعي إلى إبداع أحكامها ورسم نظامها . إنها وسطية جاء بها الوحي ونزلت من السماء واختاره الله لعباده ولهذا الكون . فهي وسطية تعالج الواقع من منظور سماوي علوي رباني .

إنها وسطية يتعانق فيها الواقعي بالغيبي ، ويتجلى فيها الاجتهاد البشري ممزوجًا بالوحي ، ويظهر فيها العقل والمنطق العقلي تابعًا للشرع مستنيرًا بنور الهدى الإلهي .

كثير من الناس يتحدثون اليوم عن فقه الواقع ويريدون أن يبتدعوا فقهًا مُسايرًا للواقع مسايرةً تجعل الفقه تابعًا والواقع متبوعًا ، ويمعنون في هذه التبعية حتى يختصروا الشريعة في التدبير اليومي للواقع المتغيّر .

وهذا الاتجاه من شانه أن ينزل بالشرع إلى الواقع ، والحال أن الشرع جاء لإخراج الإنسان من داعية هواه والرقي بالواقع إلى الوضع الذي يليق بكرامة الإنسان ويرضى عنه الخالق .

لذلك ، فإن الوسطية ليست هي مُسايرة الواقع والنزول كلما نزل المجتمع والتدني مع هوى الأفراد وشهواتهم ونزواتهم والهبوط إلى حضيض ضعف القيم والمثل والأخلاق كلما ضعفت في المجتمع البشري .

ولو كانت الوسطية هي الترخّص في الدين واقتصرت على طلب التخفيف وتتبع الرخص لسقط التكليف ولم يبق من أحكام الشريعة شيء .

لذلك ، نبادر إلى القول بأن الوسطية ليست هي مسايرة الواقع ، وإنما هي معالجة الواقع وتدبيره على نحو يحقق مقاصد الشرع ومصالح العباد من غير حرج ولا تكلّف ولا مشقة ولا ضرر .

٢ ــ إن كثيرًا من الإسلامولوجيين المعاصرين يتكئون على الوسطية التي هي أصل راسخ في الإسلام ليزينوا للمسلمين ما يسمونه بالتغيير الضروري ، الذي لا بد من استعمال

الاجتهاد لتحقيقه والوصول بالإسلام إلى مسايرة العصر والتفتح على المتجمع العالمي الجديد بقيمه وثقافته وحضارته . ونحن لسنا ضد التغيير والتجديد لتحقيق الوسطية ، فالزمان يتغير والظروف والعقلية والعادات والتقاليد والقوانين والأنظمة وأنواع المعاملات وأساليب العيش ووسائل الاتصال والإعلام ومناهج التعليم والتربية وكل شيء يتغير حولنا ، والتجديد مستمر على مستويات عديدة ، فلا يمكن مقاومة التغيير والتجديد أو رفضهما .

والإسلام فيه من المرونة والطواعية ما يساعد على التلاؤم والتكيف مع الظروف والأحوال المتغيرة .

وباب الاجتهاد يجب أن يبقى مفتوحًا للاستمداد من شريعتنا ما يعين على البقاء في الكوكبة المتقدمة في مضمار التنافس الحضاري الشريف .

لكننا نرفض أن يكون التغيير المطلوب منَّا مجرد تغريب ، كما نرفض أن يتحول التجديد إلى مجرد تقليد للنموذج الأوروبي أو الأمريكي .

ستكون الوسطية حينئذٍ هي التنازل عن قيمنا الإسلامية وانتحال القيم المادية الغربية وهي التساهل في الدين من أجل العصرنة ، وهي الاستلاب من أجل تحديث المظاهر .

إن تقدم الأمم وتحديث المجتمع لا يمر بالضرورة عن طريق الاستغراب ، وإنما يمر عن طريق العلم والتكنولوجيا المعاصرة وتطوير الاقتصاد ودمقرطة المجتمع وتنمية المعارف والفنون والآداب ، وهذه الأمور لا تتعارض مع الدين ، بل هي من مقاصده ولا نحتاج إلى التخلي عن قيمنا الدينية من أجل الحصول عليها .

إن الوسطية التي ننادي بها تتلخص في أن يحمل المرء معه قيمه ومثله العليا ليعيش بها في مجتمعه المعاصر . والوسطية بهذا المفهوم هي أن نرى الإنسان المسلم يعيش عصره متفتحًا على قيم الحداثة مالكًا لزمام العلوم والتكنولوجيا المعاصرة ، مشاركًا في بناء المجتمع الحديث ، متعايشًا مع غيره من أبناء الديانات والأيدولوجيّات في أمن وسلام مُندمجًا والأيديولوجيات في الوسط الإنساني كيفما تنوعت ثقافته وحضارته . لكنه في نفس الوقت

محافظ على دينه ومقومات شخصيته وعلى هويته وانتمائه في اعتـــدال وتوســـط ومرونـــة وسماحة وأخذ وعطاء [١] .

(١) نظرة إلى الوسطية في الإسلام : أ . محمد السمّاك ص ٤٣ ، ٤٤ بتصرف .

الخاتمة

وبعد

فمن خلال هذا البحث عن أسس الوسطية في السنة اتضح لنا أن الوسطية هي الاختيار الأمثل في حياة النسا الدنيوية والأخروية وأثبتت التجارب أن تيار الوسطية هو الأفضل والأنجح .

إن من المفيد والأكيد أن ينكب أهل الفكر والعلم والاجتهاد على استجلاء خصائص هذا التيار الغالب تيار الوسطية الراشدة ، الوسطية العقلانية، وسطية الكلمة السواء، وسطية الصراط المستقيم ، وسطية الأمة الشاهدة على الأمم وعلى العصر وسطية الخيرية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله .

إن الناس اليوم في حيرة من أمر الإرهاب الذي أصبح يهدد الأمن والسلام والاستقرار في جميع أنحاء العالم باسم الدين ، ومن أمر التطرف الذي أشعل نار الفتنة الدينية في ديار الإسلام على الخصوص وحيثما وُجد المسلمون على العموم ، ومن أمر هذه الجماعات التي احتكرت الإسلام واختطفته رهينة وقامت بتكفير الأمة وحكامها واتخذت لنفسها أمراء بايعتهم على قتل الناس وإرهابهم بما تسميه جهادًا في سبيل الله .

إن الحل الذي نراه هو أن تتضافر جهود القادة الفكرية والقيادة السياسية والمجتمع المدني من أجل بلورة تيار الوسطية ، وتوسيع إشعاعه ونشر مبادئه وقواعده وقيمه وخدمة مقاصده وجمع الناس حوله ، وخلق جمهور عريض من المفكرين والعلماء والمثقفين والإعلاميين والسياسيين والجمعويين من الداعين له والمناضلين من أجله في شبه جبهة قوية وإجماع وطني في كل بلد من بلدان الإسلام شعارها الوسطية الراشدة .

الباحثة

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا : المصادر والمراجع

١ ــ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ــ دار المعرفة ــ بيروت .

٢ ــ آفات على الطريق د / السيد محمد نوح دار اليقين للنشر والتوزيع .

٣ ــ اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ أحمد بن عبد السلام بن تيمية ــ تحقيق د/ ناصر عبد الكريم العقل ــ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ــ مطابع العبيكان .

٤ ــ التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ دار الكتب الشرقية ــ تونس .

٥ ــ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ــ تحقيق: عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، مطبعة الشعب القاهرة.

٦ ــ تفسير القاسمي : محمد جمال الدين القاسمي ــ دار الفكر ، بيروت ــ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

٧ ــ تهذيب مدارج السالكين لاين القيم ــ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م .

٨ ــ تفسير الكريم الرحمن ف تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر السعدي ــ تحقيق محمد زهري النجار ــ المؤسسة السعدية بالرياض ١٩٧٧م .

٩ ــ تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

١٠ ــ جامع البيان عن تأويل أي القرآن لابن جرير الطبري ــ دار الفكر ــ بيروت ١٤٠٥هـ .

١١ ــ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٩٨٧م ــ الطبعة الثالثة .

١٢ ــ زاد المسير في علوم التفسير لأحكام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ــ المكتب الإسلامي .

١٣ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الألباني ــ المكتب الإسلامي .

١٤ ــ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث ــ تحقيق عزت عبيد الدعاس حمص الناشر محمد السيد .

١٥ ــ سنن الترمذي : لأبي عيسى الترمذي ــ تحقيق أحمد شار ــ مطبعة الحلبي ــ القاهرة .

١٦ ــ سنن ابن ماجة : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ط دار الريان للتراث .

١٧ ــ سنن الدارمي : دار الدعوة تركيا ١٤٠١هـ .

١٨ ــ صحيح البخاري ، محمد إسماعيل البخاري ــ دار الفكر ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .

١٩ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان .

٢٠ ــ الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م .

٢١ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، تصحيح وتعقيب عبد العزيز بن باز ــ دار الفكر ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م .

٢٢ ــ في ظلال القرآن للشيخ سعيد قطب ــ طبعة دار الشروق .

٢٣ ــ القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي ، مؤسسة الرسالة .

٢٤ ــ لسان العرب لابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ــ دار صادر ــ بيروت .

٢٥ ــ مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل ــ طبع دار المعارف بالقاهرة .

٢٦ ــ معجم مقاييس اللغة لابن فارس أبي الحسين بن فارس ــ تحقيق عبد السلام هارون دار الكتب العلمية ــ إيران .

٢٧ ــ الملل والنحل ، الشهرستاني ، محمد عبد الكريم ــ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ــ مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٨م .

٢٨ ـــ نظرة إلى الوسطية في الإسلام أ / محمد السماك مجموعة أبحاث في الوسطية ـــ طبع عرس الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية بالرياض .

٢٩ ـــ الوسطية في الإسلام لفريد عبد القادر رسالة ماجستير ـــ جامعة الإمام محمد بن سعود .

٣٠ ـــ الوسطية الإسلامية ومعالمها د/ يوسف القرضاوي ـــ دار الشروق .